العدد (1931) السنة الثامنة - الثلاثاء (12) تشرين الأول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

ـ دعـــــوة ـ

تدعو صفحة آراء وأفكار الكتاب الى مناقشة واقع التيارات العلمانية في البلاد وما يمكن أن تلعبه من دور في خلق التوازن السياسي وكيف يمكن تفعيل تواجدها في الشارع العراقي بما يساهم في خلق التنوع الفكري وصولاً الى التعددية السياسية بصيغها التنظيرية والتطبيقية.

هـــل نـــحـــن عـــلـــمـــانـــيـــون حـــقـــاً؟

طارق الجبوري

> الكثير منا تحدث عن العلمانية ودعا إليها بالكتابة او الانضمام الى حركات رفعت شعارها، غير اننا لم نتوقف عن التساؤل عن مدى اقترابنا من تجسيد هذا الفكر والعمل به، ويبدو لنا ان هذا السؤال يكسب أهميته لعلاقته بهذا الشكل او ذاك بانحسار هذا المفهوم بعد ان كان معولاً عليه ان يحدث تغييراً كبيراً في مجتمعاتنا .

اذا كان التعريف العام المتداول للعلمانية هو فصل الدين عن الدولة او انه كما ورد في عدد من المصطلحات السياسية (اصطلاح فصل الدين والمعتقدات الدينية عن السياسة والحياة العامة وعدم إجبار الكل على اعتناق وتبني معتقد او دين او تقليد معين..) او في تعريف آخر (رفض أية سلطات تشريعية او تنفيذية في الدين تتدخل بحياة الفرد..) فهل يعني هذا ان تطبيق العلمانية ينحصر في الحكومة ومؤسساتها وما تصدره من تشريعات او بالقائمين عليها فقط دون غيرهم؟ وكيف ينبغي ان نتعامل مع هذا المصطلح؟ ولماذا كل هذه الضبابية وعدم الفهم والخشية من تيار هدفه مواكبة التطورات والتأسيس لنشوء نظام دولة مدنية حديثة يكون فيها التركيز على قيم المواطنة؟ وهل حقاً نحن منسجمون مع ما ندعيه من تبني الفكر العلماني؟ وإذا كنا كذلك ما الذي قدمناه من إسهامات لمجتمعاتنا على طريق فهم هذا التيار؟

أسئلة كثيرة تحتاج الى بعض الصراحة والوضوح للاقتراب من إجاباتها، خاصة وانه يمكن القول بصراحة قد تبدو جارحة إننا في محيطنا العربي لا أنظمة ولا أفراد علمانيين بالمعنى الدقيق للكلمة فكل واحد منا تتجاذبه ثقافات شتى مفروضة علينا سواء من المجتمع او الأنظمة التي روضتنا على تقبل لون واحد ترتضيه،وعدم البحث خارج إطار ما مرسوم لنا من دور في المجالات كافة، ووقفت عقولنا عند عتبة ما يريده الحاكم فكنا متلقين غير مبدعين، ومستنسخين لما يملى علينا وتابعين غير مجددين ،غيبت عقولنا فرضينا ان نغيب في متاهات حرام وحلال وصحيح وخطأ دون ان نبذل جهداً للبحث بعمق عن حقائق الأشياء وصدق ما يطرح او يقال ومعرفة أهدافه.. رضينا بعلمنا او بدونه ان نكون عبيداً لسدنة السياسة وأدعياء الدين على حد سواء، فاستقوى الحاكم ومتلبس الدين بضعفنا وكل واحد منهم يصدر تعاليمه و فتاواه لقمعنا وسلب عقولنا وإرادتنا، ولو توقفنا عند تعريف أشمل للعلمانية يقول انها (لاستخدام أساليب المنهج العلمي البحثي التجريبي القائم على العقل العلمي في إدارة جميع شؤون الحياة بعيداً عن اي معتقدات دينية لاهوتية بأي شكل من الأشكال حيث ان المعتقدات الدينية بطبيعتها تقسم البشر بين أتباع مؤمنين ومخالفين غير مؤمنين..) لأدركنا جزءاً من حقيقة ما نحن فيه من تخبط في إدارة شؤون حياتنا بمختلف جوانبها.

هذه هي صورة ما أرادوه لنا فكانت الهزائم تترى ونحن نتغنى بالنصر القادم، وضجت المعتقلات بأنين المعارضين ونحن نصفق لشعارات الحرية ونصدقها وتصدح أصواتنا بأناشيد وأغاني الفرح ونحن نبكي في داخلنا، نخاف حتى ان ندعو الله ان يفرج عنا.. صورة تتحمل النخب السياسية ورجال الدين جزءاً كبيراً من تداعياتها بسبب قصور الأولى (أي النخب السياسية) عن تجسيد ماهية وحقيقة التيار العلماني واعتمادها النهج التوفيقي السطحي عند مناقشة علاقة الدين بالدولة، في حين تعمد رجال الدين تشويه هذا الفكر دون سبر أغواره، فكانت النتيجة نشوء دول مشوهة في محيطنا العربي تدعي الفكر العلماني وبناء دولة مدنية، في حين ان ممارساتها، وبسبب إملاءات ما تحمله عقليتها من ترسبات، على الضد من ذلك.

من المؤسف ان البعض منا مازال يتوهم ان العلمانية هي محاكاة الغرب في كل شيء في الملبس والمأكل والتهجم على العادات والتقاليد ونقد الفكر الديني دون معرفة جوهر الدين والوعي بحقيقته وكونه في أساسه انقلاب وثورة على ما كان سائداً ونسمح لأنفسنا في الوقوع بخطأ عدم التمييز بين الدخيل عليه والطارئ وبين روحه الداعية الى العلم والمعرفة، وعلى النقيض من هذا نجد رجال دين ومفكرين إسلاميين، دفعتهم نظرتهم الضيقة وخوفهم على مكاسبهم، قد رفعوا راية العداء للفكر العلماني وصوروه للناس على انه مناهض للدين ومعاد له، وهم يعرفون أكثر من غيرهم انه غير ذلك، وتسببوا بموقفهم هذا من حرماننا لسنوات من فرص التقدم والنهوض، وهكذا تحالف الطرفان أدعياء العلمانية والدين ان صح التعبير على تقويض مشروع بناء الدولة على أسس علمية صحيحة، ما زلنا نعاني آثارها حتى الآن برغم دخولنا القرن الحادي والعشرين.

ونعتقد انه قد آن الأوان لكي نعي ضرورة ان نفهم بشكل صحيح حقيقة العلمانية ونؤمن بضرورتها لنتمكن بعدها من تصحيح العلاقة بين طرفي المعادلة ونقصد الفكر العلماني والفكر السياسي الديني والإسلامي منه بشكل خاص، ليس مطلوباً من رجل الدين او الداعية للفكر الإسلامي ان تتطابق أفكاره مع ما تدعو اليه العلمانية، لكن يفترض به وانطلاقاً من ذات القيم الدينية ان يكون صادقاً في توصيف حاجات المجتمع وان لا يجعل من رغباته الذاتية ومصالحه دافعاً لتشويه الفكر العلماني وينأى بنفسه عن تشويه وجه هذا الفكر وان يدرك حقيقة ،وليس ادعاءً، متطلبات العصر التي تحول دون إدخال الدين في التفاصيل الدقيقة لبناء مؤسسات الدولة، دون ان نعفي السياسيين من ممارسة دورهم لتحقيق ذلك أيضاً من خلال فهم دقيق لدور الدين في المجتمع.

وإذا علمنا ان الحكومة بشكل مبسط هي مجموعة الأفراد الذين تنازل الشعب طواعية عن حقوقه لهم وخولهم إدارة مصالح المجتمع، فهل الحاجة للثقافة العلمانية يفترض ان تكون عامة لكل أفراد المجتمع، لكي تتوازن معادلة إدارة البلاد ويتحمل كل فرد مسؤوليته بعد ان يعي حدود حقوقه وواجباته؟

وهنا نرى من الضرورة بمكان أهمية التركيز على قضية مهمة وجوهرية في حياتنا ونحن نتناول العلمانية تتمثل في دراسة مدى أهمية تطابق هذه الصفة لدينا مسؤولين حكوميين وبرلمانيين، سياسيين ومواطنين، حيث ان الكثير منا أنظمة وأفراداً، ما زال يتخبط بين ترسبات إرثه الديني والثقافي وبين التوجه الصحيح للعلمانية وترانا نعيش حالة صراع مزمنة لا نجرؤ فيها على اتخاذ قرار واضح بهذا الصدد، حالة انعكست في عملنا السياسي والوظيفي بل حتى على مستوى علاقاتنا الاجتماعية مع الآخرين.

ان اتخاذ الفكر العلماني في إدارة الدولة صار حاجة لا يمكن الاستغناء عنها او نكران أهميتها أو ادعاء عكس ذلك، ولا نعني بذلك تقليد الأوروبيين أو استنساخ تجاربهم ،بل الاستفادة من تجربتهم التي أكدت نجاحهم من خلال ما أحرزوه من تقدم في الصعد كافة، ما يعني ضرورة دراسة تلك التجارب والإفادة منها .

ونحسب ان ما يشهده العراق من تغيرات منذ ٢٠٠٣ حتى الآن برغم ما رافقها من أخطاء يجعله مؤهلاً أكثر من غيره ليكون نموذجاً حياً في المنطقة يجسد لإمكانية التعايش بين الفكرين العلماني والإسلامي، وعدم تقاطع احدهما مع الآخر، وبهذا نساهم ايجابيا بخلق نموذج جديد افتقدناه في منطقتنا منذ مئات السنين، نموذج لا مكان فيه لأي فكر متطرف ديني او غيره، غير ان هذا يتطلب لغة حوار وتفاهم بعيداً عن محاولة فرض صيغة الإملاءات على الآخر، ولكن قبل كل شيء يحتاج كل واحد منا ان يسأل نفسه هل نحن علمانيون حقاً إيمانا وسلوكاً وممارسة؟

على هامش الصراحة

المراسلات الرسمية

إحسان شمران الياسري

تحية طيبة وبعد . . .

استمتعت جداً بقراءتي هذه السطور الغنية ، وكأنني وجدت متنفساً صحياً أفتقده ؛ لقد عانيت مراراً من قراءتي مراسلات أمية القصد والتأويل وأمية اللغة والحرفة ، ولطالما بذلت جهداً لأن أكون أقرب لدفء اللغة بالتواصل مع الآخرين ..

أشغل منصباً إداريا يقتضي اطلاعي على عدد من المراسلات من مستويات مختلفة ويقتضي أيضاً أن اطلب من الموظفين ممن هم بمعيتي أن يكتبوا إجابات ومطالعات بشؤون إدارية وفنية وحتى حسابية ورقمية ، وأواجه لغة عجيبة وبحروف لاتمت بصلة لأية دراسة لغوية أعرفها (راشد يزرع) أو (دار دور) أو (المطالعة في المتوسطة) أو (الشعر والمقالة في الإعدادية) وحتى الكليات في الجامعات على اختلاف مشارب فنونها اللغوية . .

اتصلت يوماً بمدير العلاقات في الدائرة التي أعمل فيها وطلبت إليه ألا يعلق لافتة تعلن وفاتي !!

فوجئ الرجل بطلبي وبلغة المزاح والمباغتة بادرني : ((اسم الله عليج عمرج طويل))

فذكرت له إنني لا أرغب بلافتة يكتب فيها (ينعى منتسبوا...) بألف واو الجماعة ، فضحك مقهقهاً وقال : ((يمعودة منو يقره منو يكتب)) !!

وهو على حق بذلك فعلاً

ولكن قد لا تصدق أن هذه اللافتات والعبارات تؤلم المتلقي عندما تعلن وأد اللغة .

بحوزتي مراسلات متنوعة بلغة عجيبة أطالعها ألماً بين حين وآخر ..

أحلم لأولادي وللجيل الآتي بلغة راقية المعاني .. واضحة الكلمات .. مهذبة القصد ..

لغة نسمعها من معلمة المدرسة وفي الدائرة وفي الشارع ومن المسؤول الحكومي ومن كل المنتمين للوطن والمحبين له .. دون الرجوع إلى الموتى من المصادر.

للاطلاع . . . مع التقدير

ملاك الحيدري

نسخة منة إلى :

- الفنان المرحوم سليم البصري (حجي راضي) – إشارة إلى رسالتكم في تلميذ مسائي – مع التقدير .
- أصدقائي محبي اللغة – مع التقدير .

ihsanshamran@yahoo.com

أدوارد سعيد: المنفى والهوية.. الأنا والآخر

> لم يتحدد انتماء إدوارد سعيد بفضاء ثقافي بعينه.. لن تستطيع أن تنمّطه أو تحصره في حيّز معرفي ما، مغلق.. فهو يمثل باختصار إرادة ونزق وطموح وتمرد المثقف الكوني (الكوزموبوليتي) الذي لا يمل من النظر بعيداً وعميقاً.. صحيح أنه تشرّب تقاليد الفكر الغربي، واستوعب الاتجاهات الأساسية في فكر الغرب ونظرياته ومناهجه الحديثة، واشتغل بمنظور وآليات تلك النظريات والمناهج. لكن أفقه ظل إنسانياً.. مدى تفكيره لم يقتصر على حالة اجتماعية أو سياسية أو أدبية بعينها، أو أطر اختصاص ضيّق، أو ظروف وتاريخ أمة معينة.. كان منحازاً للإنسان أياً كان جنسه أو عرقه أو مكانه أو عقيدته..

سعد محمد رحيم

(٢.١)

كان ملتزماً، حراً، ينفر من التزمت والتعصب.. كان إنسنياً بحق، يتحرك على الحدود المفتوحة ما بين الثقافات والهويات، حاملاً أسمى ما خلّفها التنوير من قيم نبيلة وأفكار، أهمها؛ الحرية والتسامح والعلمانية. وعلى الرغم من عاطفته القومية (الفلسطينية) ودفاعه عن قضيتها فإن إحساس المنفي لازمه على الدوام. وقد استشهد في كتاباته مرات عديدة بمقولة الراهب هوجو: "الرجل الذي يجد أن موطنه حلو، هو شخص مبتدئ غض، أما الذي يرى في كل تربة تربته الأم فهو شخص قوي فعلاً، إلاّ أن الشخص الكامل هو الذي يكون العالم أجمع، بالنسبة له، أرضاً أجنبية. فالروح الغضة تثبّت حبها في بقعة واحدة من العالم؛ والرجل القوي يمد حبه ليشمل جميع الأماكن، أما الرجل الكامل فهو من أطفأ حبه".

ومع هذا فإن فلسطينيته طبعت قَدَرَه ورؤياه. وفلسطين مثلما ينظر إليها لها رنين تاريخي ورنين توراتي. ولآلاف السنين كانت تعطي الشياطين والقديسين والآلهة، فهي "تقع في نقطة التقاطع ليس بين الأديان فحسب بل وبين الثقافات. تتقاطع ثقافات الشرق والغرب هناك؛ الهيلينية والإغريقية والأرمنية والسورية والشرقية، إذا ما تحدثنا بنحو عام، وكذلك الأوروبية والمسيحية والأفريقية والفينيقية. إنها حالة فانتازية". لذا فهي شيء يتحرر من أي صفة ضيقة.

هذا الموقع ليس افتراضياً محضاً.. ليس عائماً وسديمياً.. إنه مولود مكاني وتاريخي وثقافي في آن سيتمثل في وعي إدوارد سعيد ويمنحه شيئاً غير قليل من طابعه وأبعاده وسماته. وهناك كذلك مسارات تجربة حياته، تلك التي فرضت عليه على الرغم منه، وتلك التي اختارها .. تجربة الخروج والاقتلاع من مكان ولادته وطفولته؛ القدس. والدراسة في مدرسة إنكليزية بالقاهرة (كلية فيكتوريا)، وقضائه فترات من مراهقته في لبنان، في سياحة صيفية مع عائلته الموسرة.. أماكن لا يستطيع العودة والإقامة فيها ثانية، لأسباب، ملتبسة، عديدة. ومن ثم منفاه الطويل، حتى مماته (أيلول ٢٠٠٣) في أمريكا.. يقول؛ "خلفيتي عبارة عن سلسلة من الاغتراب والنفي لا شفاء منها أبداً، وإحساسي بأني معلّق بين ثقافات متعددة كان وما زال قوياً جداً. أستطيع القول إنه التيار الأقوى في حياتي: والحقيقة إنني داخل الأشياء وخارجها، لكني لست أبداً (من) شيء لمدة طويلة".

إن ما هو شخصي خاص في حياته وماضيه يشتبك مع ما هو عام في إطار التاريخ الكولونيالي وما بعد الكولونيالية، وقد ألفى نفسه في عالمين، وبينهما.. في تلك الفرجات البينية الخلالية كما يسميها (هومي بابا).. بين هويتين أو أكثر، وثقافتين أو أكثر. مقتلعاً ومنفياً.. فلسطينياً ومواطناً يعيش في أمريكا ويحمل جنسيتها. ولكنه ظل أبداً يشعر بأنه في غير مكانه، كاتبَ منفى قبل أن يكون أي شيء آخر.. يكتب في (الثقافة والامبريالية)؛ "لأنني، ولأسباب موضوعية لا يد لي فيها، نشأت كعربي ذي تعليم غربي. وقد شعرت بأنني أنتمي لكلا العالمين دون أن أنتمي لأي منهما انتماءً كاملاً منذ الزمن الذي بمقدور ذاكرتي استعادته.. إلاّ أنني حينما أقول (منفى) فلا أعني شيئاً ما حزيناً أو يعاني الحرمان. فعلى النقيض، فإن انتمائي لكل من الجانبين على الخط الامبريالي الفاصل، كما هو واقع الأمر، قد ساعدني على فهم كليهما بيسر أكبر". ولأنه كان كاتب التمرد على الحواجز فقد بدا مقلقاً في هذا الجانب وفي الجانب الثاني، تحريضياً، معكِّراً للصفو العام، يقول الحق بوجه السلطة، مثلما أراد للمثقف المستقل أن يمثل نفسه، وأن تكون صورته في كتاب (صور المثقف).

لم يسجن ذاته داخل انتماء مسيّج. لم يختر لشخصه هوية محددة ذات جوهر صلب.. كان وضعه منفياً في (المكان الآخر) ووعيه الواخز بوضعه هذا يجعله على تخوم انتماءات أخرى دوماً، من غير أن يتنكر لأي منها.. قريباً بضميره من؛ المضطَهد والمحروم والمهمَّش والمهدَّد أياً كان وأينما كان.. كان يسارياً في السياسة. وجزئياً أليف ماركسية مشذّبة غير دوغمائية. لذا أكّد طوال الوقت على العلمانية لا بعدّها ضد دينية، بل ضد قومية كذلك. فالعلمانية "دعوة لإعادة التفكير من داخل نطاق الحاضر ما بعد الكولونيالي في سرد التقدم الذي يشكل أساس فكرة العلمنة نفسها. كما أنه يتضمن النظرة الثاقبة القائلة بأن القومية لا تمثل مجرد تسام على الاختلافات الدينية... لكن بالأحرى إعادة تشكيل توجهها وكتابة مفرداتها طبقاً لخطوط قومية. والنقد العلماني مصوّب ضد تقريرات (تعيينات) الديني والقومي المتبادلة، وضد تقسيم التجربة القومية غير المتساوي إلى مناطق يحددها الاختلاف الديني". وقد استخدم اصطلاح (الدنيوية) مرادفاً للعلمانية وللعالم في نقده الأدبي، لا سيما في كتابيه (بدايات) و(العالم، النص، الناقد). وفيهما أنكر محاولات فك ارتباط النص بالعالم، فلم يكن لمثله، في ضوء تجربته الخاصة، تبني التطرف البنيوي بقتل المؤلف وعزل النص وإقصاء العالم. يقول؛ "الدنيوية لا تأتي وتذهب.. فللنصوص (بما في هذا المقطوعات الموسيقية والعروض) طرائق للبقاء، لدرجة أننا نجدها دائماً، في أكثر حالتها نقاء، متشابكة مع الظروف والوقت والمكان والمجتمع".

والمنفى الذي هو أشد الأقدار كآبة في نظره لم يزرع في نفسه عُقد الاضطهاد والتعصب. على العكس، فقد جعله يرى الضفاف كلها بأريحية، ولكن ليس من غير نقد. والصحيح أن نقده انطبع بطابع وضعه، فهو حتى حين يؤكد أن خلفيته السياسية ونشاطه السياسي "كلها أمور موجودة في (صندوق) مختلف تماماً عن ذلك الذي أقفز منه كناقد أدبي أو بروفيسور". لكنه يدرك مدى وقوة وحتمية الارتباط بين إنتاج الأعمال (الأدبية والفنية) والعلاقات الاجتماعية والسلطوية. والمسألة برمتها تغدو أكثر تعقيداً في النهاية. فهو لا يريد أن يتكلم عن انسجام موهوم.. تلك سذاجة وتبسيط لواقع، أو لعالم يغلي بالتناقضات والصراعات. حتى في حالة المرء الحامل هوية مركبة. هنا، على وجه التحديد، عليه أن يلقي باصطلاح الطباق على الطاولة؛ منطلقاً كذلك من وضعه منفياً يقارن بين تذكّره ما خلّفه وبين تجربته الحاضرة. فالمصالحة صعبة، ولا يمكن اختزال الأمور إلى مجرد جناس لفظي.. يقول؛ "أعتقد أن الهوية مسألة خصامية أكثر من غيرها . كي لا أقول إنها منفرة. فكرة الهوية الواحدة. لذلك، فإن عملي عبارة عن هويات متعددة، عن أصوات متعددة النغمات، صادرة في الوقت ذاته، بلا حاجة إلى مصالحة، كما أقول، بل بحاجة فقط إلى من يجمعها معاً، أكثر من ثقافة واحدة، أكثر من وعي واحد، بالمعنى السلبي والإيجابي للكلمة. إنها غريزة أساسية".

لم يجد من الملائم أن يظل حيادياً، بارد النظرة وتبريرياً في تقويمه واقعة صراع الثقافات.. كان يقف في الغالق الإمبريالي، في زاوية الرؤية ما بعد الكولونيالية. ولكن في الوقت نفسه غارقاً حتى أذنيه كما يعبّر؛ "في مناطق متنازع عليها بين الثقافات.

وأنا مع الأسف موصوم بذلك. بكلمات أخرى، أنا مخلوق تعتمد اهتماماته على الصراع بين الثقافة التي ولد فيها والثقافة التي يعيش فيها حالياً، وهذه ظاهرة غريبة من نوعها. المسألة ليست فقط في أنها ثقافات مختلفة.. بل هنالك حرب جارية وأنا أشارك فيها على كلا الطرفين. لذلك يصعب عليّ الحديث عن الدين . ثقافية، التي توحي بسلامة العقل وتأمل هادئ".

إن مسألة الهوية في الشرق تصبح ذات صبغة سياسة بقدر ما هي ذات طابع ثقافي. وهذه المسألة تتأكد في حلقة وجود الآخر ومواجهته. أي في لحظة الصراع.. ومن غير وجود الآخر لا أحتاج إلى معرفة وتأكيد هويتي، أو أن ذلك لن يكون ممكناً أبدا. وفي خضم صراع الهويات، والصراع على الأرض ومن أجلها، يصبح الحل دائماً في إيجاد تسويات صعبة ومؤلمة.. تسويات لا شك ستنطوي على خسارات وتنازلات من الأطراف كافة طالما أن إلحاق الهزيمة النهائية بالآخر هو في حكم المستحيل. وخلق الضحايا في أية عملية صراع لابد من أن يُفقد المنتصر طعم النصر، يترك في نفسه مرارة حارقة وفي ضميره شرخاً موجعاً إن كان ينتمي للمجموعة الإنسانية حقاً، وله قلب وضمير. وفي مناسبات عديدة استشهد سعيد بمقولة إيميه سيزير؛ "ما من عرق يحتكر الجمال والذكاء والقوة، وهنالك مكان للجميع في لقاء النصر".

بالمقابل أن تكون لك هوية يعني أن تكون لك سرديتك الخاصة المقنعة، تلك التي باستطاعتك أن ترويها.

يعيد إدوارد سعيد صياغة السردية الفلسطينية في ضوء، أو بالتناظر مع السردية اليهودية. إنه لكي يوضح ويؤكد سرديته فلا بد من أن يستعين بالسردية الأخرى.. إن سرده المضاد يتغذى من سرد الآخر المناوئ.. إنه يقر الجزء الرئيس منه، من ذلك السرد الآخر؛ (لقد كانوا ضحايا حقاً). غير أنه يعقّب؛ (لكنهم ليسوا ضحايانا، لسنا نحن من اضطهدناهم وقتلناهم في أفران الغاز) وإذن؛ (لماذا لكي ينهوا شتاتهم يلقون بنا في شتات مشابه.. لماذا يجعلون منا ضحايا الضحايا؟)..

يقول؛ "كنت صبياً، ونشأت في فلسطين جزئياً. أذكر معنى الرحيل. كيف رحلت عائلات بأكملها. من وجهة النظر تلك، إنه صراع بين أناس جاؤوا كضحايا، وأنتجوا بدورهم ضحية أخرى: أنتجونا نحن . نحن ضحايا الضحايا . وهذا خيار بالغ الصعوبة، لكنه في رأيي خيار مفروض على أساس الحقوق. لا يمكنك التعامل مع حقوق شعب على حساب حقوق شعب آخر".

يوضح سعيد كيف تستنسخ الصهيونية "حجج اللاسامية ضد اليهود، كما كانت في القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، بالضبط" في تبرير اضطهادها الفلسطينيين. وها هو يتحدث عن كاتب إسرائيلي ليبرالي هو آموس عوز، يبدو باحثاً عن حل للقضية المستعصية، والذي يرى في الاحتلال شيئاً سيئاً "لروحنا، وانظروا ما الذي يفعله بنا" يعلّق سعيد؛ "لا يهم ما الذي يفعله بالفلسطينيين الذين يموتون ويُضربون ويُعذّبون". فآموس كما يصنّفه سعيد "نموذج أصيل للدكتور جيكل والمستر هايد.. سيقول جملاً مثل؛ على الاحتلال أن ينتهي، نحن ضد الهيمنة على شعب آخر". لكنه يعود ويهاجم أولئك الناس المضطَهدين ويلقي اللوم عليهم.

يبدو أنه كان لابد لفكر النهضة والتنوير والحداثة من قرابين وضحايا. والمغامرة المعرفية والحضارية والوجودية الأوروبية العظمى كان ثمنها باهظاً وثقيلاً.. كانت قرابينها وضحاياها أمم بمئات الملايين من البشر. هذه الحركة التاريخية المهولة المسماة (الاستعمار الكولونيالي) هي التي وسمت الوضع العالمي خلال القرنين الأخيرين، وأوجدت تلك السرديات الواقعية التراجيدية، والتي ما زلنا نعاني من عقابيلها.